

الجريمة الكاملة



"كلانا مطهرٌ للناس بغضاً / وكلٌ عند صاحبه مكين*"

في ليل مثل هذا الليل، خرجت ليلى من خيمتها، كانت ترتدي النقاب، لكن قيساً -الذي يراقب الخيمة كلَّ ليل- عرفها رغم نقابها.. انتظر حتى مرت من أمامه وعبرته، ثم تابعها بنظره حتى اختفت، وأسرع خلفها..

سأله المحقق: لما أسرعت خلفها؟!

قال قيس: لأعلم ..

استمر قيس في تتبع خطوات ليلى التي تتركها على رمال الصحراء، كانت تبتعد عن خيامهم.. ربما لم يلاحظها القمر لذلك لم يتبعها، لكن قيساً سار على خطوها.. كان شكه كما يبدو في محله.. فليلى تقترب بالخطوات من خيمة بن ورد..

سأله المحقق: من أين لك بخطوات ليلي حتى تدعى أن هذه الآثار لها...؟!

قال قيس: أعرفها

على باب الخيمة فقدت خطوات ليلي انتظامها، ربما لأنها في لحظة اللقاء باين ورد لم تصل لصدره لتلقى عليه ثقل الجسد فخرجت مشاعرهما المضطربة عبر الخطوات.. قيس تفحص الأثر، ثم نظر إلى القمر الغافل عنها.. كان كل ما يريده شاهداً.. لعل العالم من بعده يعرف سرهما

سأله المحقق: كيف...؟!

قال قيس: بالكلمات ..

اقترب من الخيمة، كان الصمت يلف الصحراء، كأنه متواطئ، مشارك في جريمة لا يعرف بها إلا قيس.. قطع الصمت فجأة ضحكة تعالت حتى أنها دهنت صمت الصحراء بالبهجة، رمل الصحراء بالأخضر، فلفتت نظر القمر الغافل فالتفت ناحيتها، ضوؤه المرمى على خيمة بن ورد عكس ظلين متقابلين عاريين كانا على وشك أن يبوح أحدهما بسر للآخر.. رأى قيس الضوء ولمح من خلاله الشبحين.. وتنبا بالسر الذي سوف يباح به.. لكنه لم يتحرك.. كأنه أصيب بالشلل.. فترك نفسه ليسقط على الرمال وانتظر..

سأله المحقق: ماذا كنت تنتظر؟!

قال قيس: معجزة..

تحركت الظلال المتقابلة.. لم يعودا ظلين.. فقد اجتمعت معهما شياطين الجن والإنس.. امتلأت الخيمة بالحركة... بالرياح العاصفة.. الأناث التي تشبه صوت ريح الصحراء.. بالأنفاس اللاهية الحارقة... وصل مهدها إلى وجه قيس.. فأخفى عينيه بيده وحاول ألا يستعيد المشهد مرة أخرى.. لكنه في داخله كان يريد أن يتأكد من شيء واحد.. أن ما سيفعله سيحفظه التاريخ.. فرفع وجهه إلى القمر.. كان القمر غارقاً في بحر الاشتها والتمني، تتقاذفه أمواج الرغبة الجامدة؛ فبدا بوجهه الأحمر كأنه يشتعل... حزن قيس وتمنى في داخله اختفاء الشاهد؛ لعله يمحو من داخله صورة - سيحفظها التاريخ - ليلي العارية المنعكسة طلالاً على جدران الخيمة..

كان المحقق ينتظر ..

وكان قيس مامتا ..

لم يجد قيس بُدّاً من التحرك، فالشاهد لم يعد شاهد عدل.. ربما أغوته هو الآخر شفتا ليلي.. تحرك في اتجاه الباب مقاوماً ذلك الإحساس الذي يحاول أن يهزمه.. "إنها ليلي.. الحب والحياة.. الشعر والكلمات.. السعادة المقتنصة والفرصة الضائعة"... على الباب توقف ليتأكد أن القمر مازال حاضراً.. أن الضوء المتسلل للخيمة ليس وهماً من خياله.. أن الأصوات مازالت تتوالد وتتكاثر في داخلها.. أنه حي لم يقتله بعد ما شاهده مرسوماً على صفحة الكون، على قماش الخيمة.. اندفع داخلاً.. الرمل حذر قدميه لحظات كانت كافية كي يرى المشهد ملاء العين.. يتأمله وينقله لعقله الغافل الساهي المغيب.. غيره كان سيصاب بالجنون، لكنه في لحظتها تواردت على رأسه أبيات الشعر وموسيقاه تعزف ألحاناً تصلح لأبيات تسكنها الخيانة.. لم يكن يملك الورقة والقلم.. ولم يكن عنده الوقت ليكتب كما اعتاد دائماً على رمال الصحراء.. فهجم على ليلي.. أخرج الفزع بن ورد عن حاله.. فأسرع بجلده هارباً.. كان قيس يحاول أن يعبر القصيدة التي تطارده الآن.. "عرضت على قلبي العزاء فقال لي/ من الآن فايأس لا أعزك من صبر"**. كان يحاول أن يحولها لواقع، فيضغط بقبضته التي تنطق الحروف على رقبة ليلي.. فتخرج الأنفاس منها بحار شعر وقوافي تكمل له قصيدته.. حتى وصل بيته الأخير.. "إذا بان من تهوى وأصبح نائياً/ فلا شيء أجدى من حلوك في القبر"**. الأنفاس تتلاحق وتتوقف.. يساق ليلي وتساق به... توقفت الحركة.. انكفاً بجانبها.. لم يتح للقمر أن يرى وجه ليلي، ولا أن يلمح ظلها لأنه كان منشغلاً بهذا الفار عارياً كأنه خارج لتوه من رحم أمه.. مغطى بفضلات الميلاد.

* البيت ليلي

**البيتان لقيس